سادسا : قضية التكرار:

الناظر في كتاب الله تعالى يجد مواضع متشابهة ، سماها بعض الباحثين تكراراً ، والحق أن هذه الموضوعات ذات صلة وثيقة بالإعجاز ، ومن الواضح أن هناك قضايا قد ذكرت أكثر من مرة ، وفي أكثر من موضع كالقصص، وموضوعات العقيدة ، وبعض الجمل والآيات ، وسموا ذلك تكرار .

ونرى أن كثيرين من هؤلاء من المسلمين وغيرهم ، رأوا أن في هذا التكرار سحر بيان ، وتثبيت بنيان ، فعدوه بلاغة وإعجازا ، ووجدوا فيه منهجاً قويما ، وهدفا عظيما من مناهج التربية وأهدافها.

وفئة قليلة عميت أو تعامت هيمن عليها الحقد ، فعدت هذا مثلبة ومطعناً في كتاب الله ، وهؤلاء لم يظهروا إلا بعد أن فسد الذوق البياني ، وضعفت السليقة العربية وإيجاز القول في آرائهم في قضية التكرار كما يرى الدكتور فضل عباس كما يأتي :
ذهب كثير من العلماء إلى أن التكرار في القرآن الكريم إنما يذكر لتأكيد ما يريد القرآن تقريره في النفوس ، فإذا أردت أن تقرر شيئا في النفوس فينبغي أن تكرره ، ومن هنا قالوا إن آيات العقيدة قد كررت في كتاب الله لتثبت العقيدة في النفوس ، وكذلك القصة القرآنية ، وبعض الجمل القرآنية ، لكن الذي نطمئن لتقريره أن لا تكرار ألبتة في كتاب الله تبارك وتعالى . والموضوع متعدد الجوانب ، لا تستطيع أن تجمع مسائله وتضمها بعضها إلى بعض في هذا الكتاب ، لكننا نقف نحن بعض الوقفات، لما قيل إنه قد كرر في كتاب الله :

١- آيات العقيدة .

٢ - القصص القرآني .

٣- بعض الجمل والآيات .

أما آيات العقيدة فالمتدبر لها ، يجد أنها خالية من التكرار ، لأن كل موضع قررت فيه العقيدة ، نجد فيه معنى ومعلماً وفائدة ، لا تجدها في الموضع الآخر ،أما عدم التكرار

في القصة القرآنية فهو أوضح وأظهر ، وهذا ما ذهب إليه كثير من العلماء ، وإن الذي يتدبر القصة القرآنية في جميع فصولها والمواضع التي ذكرت فيها يطمئن كل الطمأنينة بأن لا تكرار في القصص القرآني . يقول الدكتور فضل عباس ولقد استولت عليّ هذه الفكرة ردحا من الزمن ، فكانت نتيجة ذلك هذا الكتاب الذي وفق الله تبارك وتعالى لكتابته" القصص القرآني إيحاؤه ونفحاته " فهو يعالج هذ القضية، ونتيجة هذه الدراسة أن لا تكرار في القصة القرآنية ، وهذا ما سبقني إليه كثير من العلماء والمحققين . يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله: ويحسب الناس أن هناك تكرارا في القصص القرآني ، لأن القصة الواحدة يتكرر عرضها في سور شتى ، ولكن النظرة الفاحصة تؤكد أنه ما من قصة ، أو حلقة من قصة قد تكررت في صورة واحدة إلا كان هنالك جديد تؤديه ينفي حقيقة التكرار.[1]

ومثال ذلك قصة آدم عليه السلام : يقول الشيخ محمد الخضر حسين شيخ الأزهر الأسبق "إنها – أي قصة آدم - وردت في ست سور ، في البقرة ، والأعراف والحجر والإسراء والكهف وطه ، ففي سورة البقرة وردت القصة في سياق تذكير الناس بنعمة الله، والعجب من أنهم يكفرون به ، فكانت القصة تدور على هذا التذكير من جعل آدم خليفة وتعليمه الأسماء كلها . وفي سورة الأعراف وردت هذه القصة في سياق أن الناس قليلا ما يشكرون الله ، الذي مكنهم في الأرض وجعل لهم فيها معايش ، ولذلك أسهبت القصة في موقف إبليس من الإنسان . وفي سورة الحجر وردت قصة آدم في سياق فتنة الناس ، ولذلك كان الإسهاب فيها في واقعة إبليس وعدائه لآدم وذريته[2] . ولم يذكر سورة ص ، وسورة ص جاءت في عنفوان خصومة قريش للنبي صلى الله عليه وسلم حينما عجبوا أن جاءهم نذير منهم ، وعجبوا أن جعل الآلهة إلها واحدا ، وطلب بعضهم من بعض أن امشوا واصبروا على الهتكم، بدأت القصة فيها بهذه التسلية للنبي عليه وآله الصلاة والسلام بعد قوله ﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٧٠ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص: ٧٠-٧١]

أما الإدعاء بوجود تكرار في آيات وألفاظ من كتاب الله ، فلا صحة له ، ونذكر لك بعض هذه الآيات التي ادعوا أن فيها تكراراً ، مناقشين لها ، لتدرك ، أن كتاب الله خال من شبهة التكرار . .

---

[1] ينظر في ظلال القرآن (٦٤/١) الطبعة الخامسة سنة ١٣٨٦ هـ - ١٩٦٧م .
[2] مجلة لواء الإسلام ، العدد السابع ، السنة الرابعة ، ص ٥٣٧ - ٥٥٤ .

١- قال تعالى في شأن تحويل القبلة ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ﴾ [البقرة: ١٤٤] وبعد هذه الآية يقول ربنا تبارك وتعالى ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَإِنَّهُۥ لَلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ ﴾ [البقرة: ١٤٩-١٥٠]

هذه الآيات الكريمة حينما يقرؤها القارئ ، يجد أن الأمر بتولية الوجه شطر المسجد الحرام قد ذكر أكثر من مرة ، فيذهب الكثيرون إلى أن ذلك للتأكيد . ولكننا حينما ننعم النظر نجد أن الآيات الكريمة لم تذكر للتأكيد فحسب ، وإنما كان لكل واحدة منها غرضها الذي تؤديه ، وغايتها التي تقصد إليها ، فنحن نعلم خطورة قضية القبلة ، من حيث إنها جاءت تلبية لرغبة النبي صلى الله عليه وسلم، ومن حيث ما فيها من استقلال شخصية المسلمين في عبادتهم، ولقد كان تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة أول نسخ في الإسلام ؛ لذا وجدنا هذه العناية في شأن هذا التحويل ، ومع ذلك كان لكل آية مغزى خاص بها .

فالآية الأولى جاءت تبين للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين ، إن هذه القبلة التي تمنيتموها – ورغبتم فيها – وقد علم الله ذلك منكم - أجابكم الله لما طلبتم ، وأما الآية الثانية فلقد كان الأمر فيها لبيان قضية أخرى ، وهي أن هذه القبلة التي أمركم الله أن تتحولوا إليها لن تنسخ أبدأ وهي القبلة الباقية ، وأما الآية الثالثة فجاءت تبين أن الهدف من هذا الأمر بالتحول إلى القبلة ، من أجل أن تقطعوا دابر كل قول فلا يبقى للناس عليكم حجة . وهكذا – إذن - نجد أن أمر التكرار لا يستقيم مع غاية الآيات الكريمة ، فالأمر الأول بالتولية شطر المسجد الحرام جاء عقب قوله تعالى { قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولنيك قبلة ترضاها } وأما الأمر الثاني فقد جاء بعده قوله سبحانه { وإنه الحق من ربك } ومعنى هذه الجملة الكريمة أنه حق ثابت لن ينسخ أبدا ، أما الآية الثالثة فالأمر فيها ظاهر ، فلقد ذكر عقبها { لئلا يكون للناس عليكم حجة } .

٢- في سورة آل عمران ذكرت هذه العبارة الكريمة {ويحذركم الله نفسه} مرتين متجاورتين : أولا : في قوله ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةًۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨] وثانيا : في قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ [آل عمران: ٣٠] .

الناظر في السياق القرآني يجد أن كلا من التحذيرين جاء عقب قضية خطيرة مهمة ، جاء الأول بعد نهي المؤمنين أن يتخذوا الكافرين أولياء وهي قضية عني بها القرآن الكريم بعامة ، وعنيت بها سورة آل عمران بخاصة ، وجاء الآخر في سياق مشهد من مشاهد يوم القيامة ، فالتحذير الأول يترتب عليه العذاب الدنيوي من تفرق وتمزق وذلة ومسكنة ، أما التحذير الثاني فيترتب عليه العذاب الأخروي ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [القلم: ٣٣]

٣- ومن أقوى ما تمسك به القائلون بالتكرار سورة: قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١-٦] ، السورة الكريمة عدا البسملة ست آيات ، أولاها خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم فيها نداء للكافرين وهي (قل يا أيها الكافرون } وآخر آية حكم ونتيجة وهي { لكم دينكم ولي دين } وما بين هاتين الآيتين آيات أربع يمكن أن نقسمها من حيث المعنى إلى مجموعتين ، المجموعة الأولى { لا أعبد ما تعبدون } { ولا أنا عابد ما عبدتم} فالآيتان الكريمتان تشيران إلى أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يعبد ما يعبده الكافرون.

والمجموعة الثانية {ولا أنتم عابدون ما أعبد } وهما الآيتان الثالثة والخامسة ، وهما تنفيان عبادة المشركين لما يعبد الرسول عليه وآله الصلاة والسلام .

والذين ذهبوا إلى التكرار قالوا إنه للتأكيد ، وممن ذهب إلى هذا القول ودافع عنه بقوة ، واستدل له بأقوال العرب وبما جاء من أشعارهم الفراء ، ولكن الجمهور من العلماء ذهب إلى غير هذا ، ذهبوا إلى عدم التكرار في السورة الكريمة ، وهؤلاء اختلفوا فيما بينهم في تفسير الآيات تفسيرا يبعد القول بالتكرار . ذكر ابن جريرالطبري – رحمه الله – وغيره أن المشركين ومنهم الوليد بن المغيرة طلبوا من النبي عليه وآله الصلاة والسلام أن يهادنهم ، أن يعبد آلهتهم ويعبدوا إلهه فأبى عليهم النبي صلى الله عليه وسلم ذلك ، ونزلت السورة الكريمة ، يقول الدكتور فضل: وعلى هذا فإن ما نرجحه في تفسير الآيات الكريمة ونستأنس له بقول الحذاق الجهابذة من العلماء ، من عدم التكرار في السور الكريمة ما يلي وبالله التوفيق : والخلاصة أن كل آية من المجموعتين جاءت على صورة الدعوى ، وجاءت الآية الثانية على صورة الدليل ، فكأن كلا من الآيتين دعوى ودليلها ، فالدعوى في المجموعة الأولى { لا أعبد ما تعبدون } أي لا يمكن أن أجيبكم إلى ما طلبتم فاعبد آلهتكم ، والدليل على هذه الدعوى { ولا أنا عابد ما عبدتم } أي قبل أن يكرمني الله بالوحي ما عبدت آلهتكم ، فهل يعقل أن أعبدها الآن أو بعد الآن ؟ وأما الدعوى في المجموعة الثانية فهي { ولا أنتم عابدون ما أعبد } أي لا يمكن أن تصدقوا فتعبدوا الله الذي أعبده وقد حدث بيني وبينكم ما حدث ، ودليل هذه الدعوى { ولا أنتم عابدون ما أعبد } أي حينما دعوتكم لأول وهلة وأنتم لم تجربوا عليّ كذبا ، وعلمتم أن لا مطمع لي في شيء فلم تجيبوني ، فكيف تجيبونني اليوم؟ الآيات الأربع – إذن - اثنتان منهما تشكلان الدعوى ، عدم استجابة كل من الفريقين للآخر ، والآيتان الأخريان كل منهما برهان على الدعوى التي تلائمها .